**المحور الثاني/نظام الحكم في تونس**

**المحور الثاني: نظام الحكم في تونس:**

**مرّ الوجود العثماني في تونس بعدّة مراحل من حيث: أشكال تنظيمه وتفاعله مع المجتمع المحلي، وبالتالي فإن السلطة العثمانية تطورت عبر عدة أزمات: -من الحكم المباشر والتفويض –إلى نظام عسكري –إلى تأسيس سلطة وراثية مستقلة تتماشى مع النمط الملكي.**

**1-عهد الباشوات( 1574-1591م): يعتبر عام 1574م تاريخ انضمام تونس إلى الدولة العمانية؛ فأصبحت ولاية عثمانية يحكمها باشا لمدة ثلاث سنوات، وأسندت إليه دفع رواتب الجنود والانكشارية وإدارة شؤون البلاد يساعده 5 مستشارين وهم: وكيل الخرج- خوجة الخيل- الأغا- البيت مالجي- المنزل المدني( وكان يتألف من ملازم المسمى بالخليفة يعهد إليه تدبير شؤون الإدارة).**

**- الباش كاتب( وهو المسؤول عن المراسلات)- السفير أو الباش سيار( يتولى كل ما يتعلق بالشؤون الخارجية).**

**-الديوان: مجلس يترأسه الآغا بحضور الباشا والقبطان.**

**-دفتر داي: ويتم فيه طرح المشاكل الإدارية والسياسية والقضائية والاجتماعية خلال 3 أيام.**

**-قبطان رايس: ويتولى شؤون البحرية وحل النزاعات السياسية والعسكرية.**

**-القوات العسكرية المساعدة: الاعتماد على المخزن غلى جانب أغا ولها العديد من الامتيازات ومنهاك الإعفاء من الضرائب.**

**-المؤسسة الدينية: يتولى الشؤون القضائية قاض ويتكلف بإصدار الأحكام وفق الشريعة الإسلامية ويساعده مفتيان مفتي مالكي وآخر حنفي( وفي هذا العهد وجد 4 2 مالكيين و2 حنفيين).**

**- المؤسسات المدنية: تركزت في المدن الكبرى؛ حيث أوكلت إدارة البلدية إلى شيخ المدينة يساعده الأعيان.**

**لقد تميز هذا العهد بانقسام السلطة بين الباشا ومجلس الديوان صاحب القرار العسكري، ونظرا للظروف التي تمر بها تونس من اضطرابات خارجية وتحرشات الجزائر وطرابلس، وفوضى داخلية نتيجة تغلب فئة الانكشارية؛ تمّ قلب النظام سنة1591م وظهور نظام الدايات.**

**2-عهد الدايات( 1591-1631م): جاء هذا النظام نتيجة انقلاب الضباط الصغار على الضباط الكبار؛ لاحتفاظهم الامتيازات والقرارات، وهنا أصبحت السلطة في يد الضباط الصغار، ويشبه هذا النظام الديمقراطية العسكرية؛ حيث انقسم الضباط إلى مجموعات على رأس كل واحدة منها وال منتخب، وهؤلاء يشكلون الديوان، كما أصبح القرار جماعيا استشاريا؛ لكن داخل الديوان حدثت فوضى انتهت بانفراد عثمان داي بالحكم عام 1598م؛ فتحول النظام من ديمقراطية عسكرية إلى أتوقراطية عسكرية؛ كل السلط بيد الداي يساعده الباي( وكان رمضان باي) في جمع المحلة وله كل السلطات.**

**أحدث هذا النظام نوع من الاستقرار والانتعاش الاقتصادي؛ لكنه لم يجعل قاعدة لتعاقب الحكم، وظل تعاقب الحكم خاضعا للغلبة والانفراد بالسلطة، وفي نفس الفترة بدأت تظهر سلطة منافسة للداي وهي سلطة الباي الذي يستند إلى جهاز ردعي وجبائي ناجع..**

**3-البايات المراديون( التجربة الملكية الأولى1631-1702): اقترن ظهور الباي بقيادة الأمحال وهي فرقة عسكرية لجمع الضريبة، بدأت مع رمضان باي (1599-1613م)؛ لكن مع وصول مراد باي(مؤسس العائلة المرادية) الذي عينه يوسف داي بعد وفاة مولاه رمضان باي1613؛ فقام بوظيفته أحسن قيام، ولم يزل مراد باي يتدرّج في المراتب بما فيها من الكفاءات إلى أن تقلد لقب الباشوية؛ فتنازل حينئذ عن السفر بالأمحال لابنه حمودة باي ، وأصبح للداي صلاحيات انحصرت في حاضرة تونس، أما الباي فله نفوذ في سواحل تونس وعلى القبائل، وقد عمل مراد باي على توريث هذا المنصب في أبنائه؛ فكان أول من تولى بعده قيادة الأمحال ابنه:**

**\* حمودة باشا المرادي(1631-1662م)، ويدعى أيضا محمد باشا الذي عمل على تطوير الجيش، ورتب أوجاق الصبايحية بأربع مراكز( تونس- القيروان- الكاف وباجة)، وربط علاقات مع الفئات المحلية، وضمان ولاء النخب المحلية؛ فكان كريما محبوبا عند العامة والخاصة، وفي سنة1657م طلب حمودة من الخلافة العثمانية أن تقلده رتبة الباشوية؛ فأتاه الفرمان مؤيدا له بذلك، فتخلى عندئذ عن السفر بالأمحال لابنه الأكبر مراد الثاني وعقد لبقية أولاده على نواحي الولاية، والظاهر أن الباي أصبح في أواسط القرن 17م الحاكم الأول في البلاد؛ لما له من إمكانات عسكرية واقتصادية وازداد نفوذه مع حصوله على لقب الباشا عام 1658م.**

**كانت وفاته سنة1666م تاركا وراءه آثارا حميدة في تونس ومنها: مقام الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي بالقيروان، ومرستان المرضى بتونس، وجامعه وصومعته البديعة...**

**\*مراد باي الثاني(1662-1675م): ظهر صراع بين الباي والفرق العسكرية حول تعيين الداي؛ إلا أن مراد الثاني تغلب عليهم وتفوق على السلطة العسكرية سنة1673م، كان شجاعا؛ منصفا استأثر بالسلطة بعد أبيه؛ قضى على جند الأتراك الذين قاموا عليه في إحدى الثكنات بتونس؛ حيث هدم الثكنة وبنى بموضعها مدرسة عرفت باسمه( المرادية) بسوق القماش بالعاصمة تونس.**

**كانت وفاته سنة1675 ومن مآثر هذا الباي إلى جانب المدرسة المرادية، جامع قابسن والمسجد الحنفي بباجة، لكنه بقدر ما كان متحكما في زمام الأمور؛ ترك خلفه 4 أبناء تنازعوا على السلطة وأوقعوا الأسرة المرادية في أزمات سياسية وعسكرية.**

**\*محمد بن مراد باي الثاني: هو من بين أبناء مراد باي الثاني؛ اتفق أهل الحل والعقد على ولايته بعد وفاة أبيه، إلا أن شقيقه علي نافسه على الولاية؛ فحدث الصراع بين الأخوين وبالخصوص بسبب وجود عمهما محمد الحفصي سنة1675م؛ مما أدخل الأسرة المرادية في أزمة سياسية وحرب أهلية؛ تدخلت فيها أطراف خارجية تمثلت في أمحال الجزائر؛ حيث استنجد بهم محمد باي لقتال أخيه، وبعد ما قتل بعض الجنود عليا صف الجو لأخيه محمد وبقي في الحكم إلى أن وافته المنية عام 1696م وخلفه أخوه رمضان باي، الذي كان ميالا إلى اللهو والخمول؛ ما دفع ابن أخيه مراد بن علي يثور ضده ويقتله سنة 1698م وتولى مكانه.**

**\*مراد باي الثالث: كان ظالما مستبدا استباح كل المحرمات، وسفك دماء الأبرياء، خرج لقتال الجزائريين؛ فتم الفتك بعساكره قرب مدينة سطيف؛ ليتم في النهاية الفتك به على يد إبراهيم الشريف سنة1702م، بإذن من الباب العالي؛ وبنهاية مراد باي الثالث تنتهي وتنقرض دولة بني مراد والأسرة المرادية.**

**وبعد ما أوقع بمراد الثالث؛ بايعه الجند؛ وانتصب بتونس؛ ثم أتاه لقب باشا من الخلافة العثمانية؛ فصار يوقع:" الباشا إبراهيم باي داي" وكان من أبرز ما قام به إبراهيم الشريف هو فرض الضرائب على الأهالي، وإعلانه الحرب ضد الجزائر وطرابلس فكانت النتيجة أن تم القضاء عليه من قبل أمحال الجزائر، واختيار ومبايعة حسين بن علي تركي من طرف كبراء الجند والعلماء والأعيان عام 1705م، ومن ذلك الحين انتقل الحكم، إلى الأسرة الحسينية والتي استمرت إلى غاية إلغاء النظام الملكي وإعلان قيام الجمهورية سنة1957م.**

**4-حكم الأسرة الحسينية(1705-1882م): مر حكم هذه الأسرة بمرحلتين هما:**

**المرحلة الأولى: امتدت من سنة( 1705م إلى سنة 1837م): ملاحظة: راجع المطبوعات المرفقة**

**المرحلة الثانية: امتدت من سنة( 1837م إلى سنة 1882م): وهي فترة أمراء الإصلاح ومنهم:**

**\*المشير الأول أحمد باي(1837م-1855م): يعتبر صاحب نهضة في تونس وذلك لإصلاحاته التي شملت جميع الميادين العسكرية والسياسية والعلمية والعمرانية نذكر منها:**

**-تنظيم الجيش: جعل لتونس جيش نظامي عدده يزيد على 30.000 جندي موزعين إلى مشاة، وخيالة وأنشأ لهم ثكنات، وأنشأ مدرسة باردو للحربية من أجل تخريج الضباط سنة 1840م؛ جلب لها أساتذة من أبرع ضباط فرنسا وتركيا وإيطاليا؛ واستعان بمدرسين لتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية...**

**-البحرية التونسية: اهتم بالأسطول؛ فاشترى عمارة قوية تحتوي على 12 باخرة حربية وبارجة من الطراز الكبير تسمى" الحسينية"، وأنشأ مرسى حربيا مدعما بدور لصناعة السفن والأسلحة...**

**-تشييد المدن: في سنة 1843 وعلى بعد 14كم من تونس العاصمة شيد مدينة سماها" المحمدية"، وابتنى بها القلاع والجامع والمدارس والأسواق؛ واتخذها مقرا لحكومتها بدلا من مدينة باردو...**

**-إبطال الرقيق: أبطل بيع الرقيق بتونس؛ فأغلق سوق العبيد "سوق البركة" سنة1846، كما أصدر أمرا بعتق جميع المماليك الموجودين في البلاد، وكان لهذا الباي إصلاحات أخرى في المجالات المالية والاقتصادية والثقافية؛ فهو أول من وضع ترتيبا للتعليم بجامع الزيتونة وعمر خزائنه بالكتب...**

**\*المشير الثاني محمد باي( 1855م-1859): من أهم إصلاحاته:**

**- قام بإرجاع الجنود الذين وجههم أحمد باي لإعانة الدولة العثمانية في حرب القرم سنة 1855**

**- ألغى غالب الضرائب والرسوم المحدثة وعوضها بضريبة المجبى وقدرها 36ريالا يدفعها سنويا الرجال القادرون من سكان الإيالة؛ وهي ضريبة مؤقتة تلغى متى تحسنت الحالة المالية للبلاد.**

**- سنّ قانون عهد الأمان سنة1857؛ وهو من حسنات هذا الباي؛ يقضي بحرية التدين والمساواة في الحقوق العامة؛ فاستبشر الناس به خيرا، لما فيه من ضمان الحرية والكفالة بحفظ المال والعرض.**

**-نصب المجلس الشرعي عام1856 وجعل الحكم في القضايا يوميا بمشاركة القاضيان والمفتيان.**

**-أنشأ المجلس البلدي في تونس عام 1858م؛ وانتخب أعضاءه من أعيان المدينة، ويعمل هذا المجلس ويسهر على تنظيم المدينة وإصلاح طرقاتها وتنويرها.**

**-وفي الحياة العلمية كان محمد باي أول من أدخل الطباعة للإيالة التونسية؛ لنشر المطبوعات الرسمية..**

**\*محمد الصادق باي(1859م-1882): ظهرت في عهده الاختلاسات المالية مثل قضية ابن عياد الذي فر بأموال الدولة إلى باريس، وكذا الكوارث والأوبئة مثل مرض الكوليرا 1865م، ثم حمّى التيفوس1867م، إضافة إلى المجاعة وارتفاع أسعار المعاش... ومن أهم الإجراءات لمواجهة الحالة :**

**-تطبيق عهد الأمان وإعلان دستور 1861؛ لضبط قواعد نظام الحكم وتنظيم السلطات في البلاد.**

**-إنشاء مجالس أهلية لفصل القضايا بن الخصوم، وتكوين مجلس أكبر يتألف من 60عضو للنظر في شؤون البلاد، والشورى في المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.**

**-تدارك الأزمة المالية بمضاعفة معلوم ضريبة المجبى من 36إلى 72ريالا في سنة 1864م.**

**-إحداث خطّة ورتبة وزير مباشر( الوزارة الكبرى)؛ وهي ما تمثل رئاسة الوزراء والخارجية والداخلية والمالية في شخص واحد؛ وهو الوزير خير الدين باشا عام 1873م؛ هذا الأخير قام بإصلاحات كبرى منها: - إنشائه مجلسا مختلطا للتقاضي بين الأهالي والأجانب في المسائل المالية. –اهتم بتوثيق العلاقات بين تونس والدول الأوروبية. – إحداث نظام الأوقاف العامة سنة 1874م. –سن قانون الإصلاح الزراعي بتوزيع الأراضي على صغار الفلاحين وتخفيف الجباية، والترغيب في غراسة النخيل والزيتون. – ومن مشاريعه في نشر التعليم: - تأسيس المدرسة" الصادقية" سنة1875م؛ وهي أول معهد تونسي فيه العلوم العصرية بعد مدرسة باردو. –قام بترتيب برامج التعليم بجامع الزيتونة سنة1876م.-أنشأ المكتبة الصادقية الملاصقة للجامع الأعظم –إحياء الصناعات التقليدية وتطوير التجارة الوطنية...**